

بِسْمِ اللَّهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(١١٧)

السّر في كثرة بطون القرآن الكريم

ومما يقرب المراد من (البطون) في القرآن الكريم، ان وزن عالم التدوين والوجود اللفظي سواء أكان قرآناً أم حديثاً قدسياً هو وزن عالم التكوين فكما ان للموجودات العينية ظهراً وبطناً ولبطنها ظهر وبطن وهكذا، فكذلك عالم التدوين، فمثلاً (العين) لها ظاهر ولها باطن فباطنها الفزحية والعدسة البلورية والقرنية والشبكية وغيرها، وكل منها لها ظاهر ولها باطن كمرات الإبصار وكأعصاب الإبصار وغيرها وهكذا. والمستظهر ان بواطن الأشياء المتداخلة وبواطن بواطنها وهكذا غير متناهية (باللاتناهي اللايقيني) ولعل السر في ذلك ان الله تعالى أراد ان تكون مجلى عظمة الله اللامتناهي المطلق؛ ولذلك لا يمكن للبشر ان يحيطوا بما قال تعالى: (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)^(١) فان إحدى جهات ذلك بطون كلمات الله ومخلوقاته؛ ولذلك أيضاً كان الكتاب العزيز تبياناً لكل شيء، وأيضاً: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ)^(٢) والإمام المبين هو القرآن وهو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام .

ونضيف ان قوله عليه السلام (ظهر القرآن الذين نزل فيهم وبطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم) يفيد قاعدة أصولية هامة جداً وهي ان كافة القضايا الخارجية القرآنية مما نزلت في قوم، هي قضايا حقيقية، أو ان الخارجية بالمعنى الماضي أو بمعنى ما كان في أحد الأزمنة الثلاثة هي خارجية بالمعنى الشامل للأزمنة الثلاثة - على اختلاف تفسيري الخارجية والحقيقية - فتدبر جيداً وذلك عكس ما توهمه البعض من ان قضايا الحقيقية هي خارجية!

رواية البطون متواترة قطعاً

ثم ان روايات البطون متواترة فلا مجال للتشكيك فيها، قال في تفسير الصافي (أقول: إنه قد وردت أخبار جمة عن أهل البيت (عليهم السلام) في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم حتى أن جماعة من أصحابنا صنّفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو جمعوا فيها ما ورد عنهم (عليهم السلام) في تأويل آية آية إما بهم أو بشيعتهم أو بعدوهم على ترتيب القرآن وقد رأيت منها كتاباً كاد يقرب من عشرين ألف بيت^(٣) .

وقد روي في الكافي^(٤) وفي تفسيري العياشي وعلي بن إبراهيم القمي^(٥) والتفسير المسموع من الإمام أبي محمد الزكي أخبار كثيرة من هذا

(١) سورة الكهف: آية ١٠٩ .

(٢) سورة يس: آية ١٢ .

(٣) البيت السطر أي حوالي ألف صفحة كل صفحة عشرين سطرًا!

(٤) عَنْ سَلِمِ الْحَطَّاطِ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ((أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) قَالَ هِيَ الْوَلَايَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)) الكافي: ج ١ ص ٤١٢ .

(٥) عن أبي عبد الله ع في قوله وَ (إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) قال الولاية نزلت لأمر المؤمنين عليه السلام يوم الغدير) تفسير القمي ج ٢ ص ١٢٤ .

القبيل، وذلك مثل ما رواه في الكافي عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)^(١). قال: هي الولاية لأمر المؤمنين (عليه السلام).

وفي تفسير العياشي^(٢) عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يا أبا محمد إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فنحن هم وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدونا.

وفيه عن عمر بن حنظلة عن أبي عبد الله (عليه السلام) سأله عن قول الله تعالى (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)^(٣) قال: فلما رأني أتبع هذا وأشباهه من الكتاب. قال: حسبك كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنوا به^(٤).

لغة القرآن وديدنه البطون والتأويل

أقول: هي متواترة مضموناً أو إجمالاً قطعاً.

ومنه يعلم ان لغة القرآن الكريم والرسول والأئمة عليهم السلام هي البطون وان ذلك هو دأبهم وديدنه، فذلك كقريئة دأبهم العامة على فصل المقيدات والمخصصات عن مطلقاتها وعموماتها، عكس سيرة المتكلمين، بل جرى دأب القرآن الكريم والرسول العظيم على تأخير بيان المخصصات حتى عن وقت الحاجة أي بعد حضور وقت العمل بما يفوت به وقت العمل، ولذا نجد ان المآت ولعله الألوفا من المخصّصات والمقيدّات والشروط وغيرها وردت زمن الصادقين (عليهما السلام) مما يعني انها تأخرت عن وقت العمل لمدة مائة سنة وأكثر، اللهم إلا على توجيه الميرزا النائيني لها كما نقلناه عنه وعضدناه في بعض الكتب.

وعليه: فانه إذا كان دأب القرآن والسنة على البطون والتأويل فكيف تعدّ روايتها مضعفة لراويها؟ بل ينبغي ان تكون دليلاً على جلاله شأنه.

معنى (العبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء)

ثم ان من مصاديق البطون الرواية المروية عن الإمام الحسين عليه السلام وعن الإمام الصادق عليهما السلام وهي (عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: ((كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الْعِبَارَةِ وَالْإِشَارَةِ وَاللِّطَائِفِ وَالْحَقَائِقِ، فَالْعِبَارَةُ لِلْعَوَامِّ وَالْإِشَارَةُ لِلْخَوَاصِّ وَاللِّطَائِفِ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْحَقَائِقُ لِلْأَنْبِيَاءِ))^(٥)

أقول: الرواية فوق مستوى إدراكنا ولكن مما قد يوضح بعض مبتدأ معانيها:

ان (العبارة) من العبور إذ يعبر بها إلى المعاني والمفاهيم والمقاصد، فهي معبر لعامة الناس إلى المعاني، وهي الظواهر من عمومات وغيرها.

و(الإشارة) هي للخواص وأهل التخصص، وذلك كدلالة الاقتضاء ودلالة الإيماء والتنبيه والإشارة، وكاللوامز غير البينة وبعض المفاهيم، وكبعض الكنايات والمعاريض والتورية.

(١) سورة الشعراء: آية ١٩٣-١٩٥.

(٢) محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، المطبعة العلمية - طهران، ١٣٨٠هـ، ج ١ ص ١٣.

(٣) سورة الرعد: آية ٤٣.

(٤) الفيض الكاشاني، تفسير الصافي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ج ١ ص ٢١-٢٢.

(٥) تاج الدين الشعيري، جامع الأخبار، دار الرضي للنشر - قم، ١٤٠٥هـ، ص ٤١.

و(اللَّطَائِفِ) يراد بها ما لطف عن الفهم ودقّ مما احتاج إلى إلهام من الله تعالى، موقوفٍ على شفافية النفس وروحانيتها، لذلك كانت للأولياء خاصة حيث يصلون إليها بمراتب الولاء والورع والتقوى لا بالفكر والاجتهاد.

و(الحَقَائِقِ لِلْأَنْبِيَاءِ) ربما يراد بها العلم الحضورى بالأشياء، نظراً لإحاطتهم القيومية بالأشياء لكونهم وسائط الفيض.

وعليه: فلا مجال لمن مستواه العِبَارَة أن يُشكل على من يفهم الاشارات، ولا لمن مستواه الإشارة أن يُشكل على من أوتي اللطائف فكيف بالحقائق، وأهل البيت عليهم السلام هم مستودع هذه الأربعة كلها، فأني للنجاشي وغيره^(١) ان يضعّف راوياً لمجرد روايته روايات لا تنطبق على منظومة العبارات أو الاشارات؟

ولا يشكل على الرواية بسندها لروايتها في الدرة الباهرة وفي جامع الأخبار المردد مؤلفه بين ستة أشخاص، إذ انها من مصاديق روايات البطون، فغاية الأمر ان اللطائف والحقائق من البطون لا من دائرة اللفظ ودلالاته، على انه يكفي صرف الاحتمال في ردّ دعوى الاستنكار^(٢) هذا إن لم نقل بحجية مراسيل الثقات المعتمدة، على انه سبقت مطابقة مضمونها للقواعد. فتأمل

سَلَمْنَا، لَكِنَّمَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ

خامساً: سَلَمْنَا عدم وضوح كونها من التفسير بالمصداق، أو من الانتقال أو من البطون، وسلمنا عدم وضوح مطابقة مضمونها للآيات والروايات الأخر، فغاية الأمر انها من المتشابهات وهي مما يجب التسليم بها على إجمالها لا تضعيف الراوي لروايته لها! قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)^(٣).

وقد روى العياشي بإسناده عن مسعدة بن صدقة قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه، قال: الناسخ الثابت المعمول به والمنسوخ ما قد كان يعمل به ثم جاء ما نسخه، والمتشابه ما اشبهه على جاهله^(٤) فغاية الأمر ان مضامين هذه الروايات اشبهت على أمثال النجاشي إذ جهل المراد بها، فلا يصح ردها وتضعيف راويها أبداً كيف وقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام: ((وَاللَّهِ إِنْ أَحَبَّ أَصْحَابِي إِلَيَّ أَوْرَعَهُمْ وَأَفْقَهُهُمْ وَأَكْتَمَهُمْ لِحَدِيثِنَا وَإِنْ أَسَوَّاهُمْ عِنْدِي حَالًا وَأَمَقَّتَهُمْ لِلَّذِي إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ يُنْسَبُ إِلَيْنَا وَيُرَوَى عَنَّا فَلَمْ يَقْبَلْهُ إِشْمَازٌ مِنْهُ وَجَحَدَهُ وَكَفَرَ مَنْ دَانَ بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الْحَدِيثَ مِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ وَإِلَيْنَا أُسْنِدَ فَيَكُونُ بِذَلِكَ خَارِجًا عَنَّا وَلَا يَتَنَا))^(٥)

من الأدلة على وثاقة المفضل بن صالح

ثم انه يكفي لتوثيق المفضل بن صالح رواية ستة أو سبعة من أصحاب الإجماع عنه وفيهم الثلاثة المعروفون من أصحاب الإجماع المسلم^(٦) مع ان مراسيل ابن أبي عمير وحده حجة فكيف بإسناده هو وإسناد ستة آخرين من أصحاب الإجماع عنه؟، بل ورواية ثلاثين من الأجلء عنه؟ بل وإكثارهم الرواية عنه - كما قيل -.

(١) على جلاله شأنه.

(٢) استنكار روايات أمثال المفضل وسعد لمجرد انها لا تطابق ظواهر العبارة.

(٣) سورة آل عمران: آية ٧.

(٤) مُجَدِّدٌ بن مسعود العياشي، تفسير العياشي، المطبعة العلمية - طهران، ١٣٨٠هـ، ج ١ ص ١١-١٢.

(٥) ثقة الإسلام الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية - طهران، ج ٢ ص ٢٢٣.

(٦) ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى والبنزطي.

وقال الشيخ النمازي (المفضل بن صالح أبو جميلة الأسدي النخاس:

من أصحاب الصادق والكاظم صلوات الله عليهما. مات في حياة الرضا عليه السلام. وعن ابن الغضائري أنه ضعيف كذاب يضع الحديث. وتبعه على ذلك العلامة في صه وغيره في غيره. ولم يقدح فيه الشيخ.

وأما النجاشي فلم يقل إنه ضعيف، بل نقل تضعيفه عن مجهول، فقال في رجاله ص ٩٣ في ترجمة جابر بن يزيد الجعفي: روى عنه (أي عن جابر) جماعة عُزِمَ فيهم وُضِعُوا: منهم عمرو بن شمر ومفضل بن صالح ومنخل بن جميل ويوسف بن يعقوب - الخ. ولعل مراده من المجهول ابن الغضائري ولا اعتبار بتضعيفه)^(١)

أقول: لا يبعد توقف النجاشي فيه إذ لم يُدِّ رأياً صريحاً فيه بل نقل عن جماعة (مجهولين لنا) اتهم غمزوا فيه وضعفوه، نعم ذلك مشعر بتضعيفه له. فتأمل.

وقال الميرزا النوري في الخاتمة: "ولا أدري كيف يحتمل الوضع والكذب مع رواية عيون الطائفة عنه كثيراً".

وقال الوحيد فيما نقله عنه النمازي: (لعلّ تضعيف الخلاصة من ابن الغضائري. وتضعيفه لروايته الأخبار الدالة على الغلو بزعمه.

وقد ذكرنا في مواضع عديدة عدم الاعتبار بهذه التضعيفات. فتشهد بوثاقته والاعتماد عليه رواية الأجلة ومن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنه كابن أبي عمير وعبد الله بن المغيرة والحسن بن محبوب والبنزطي في الصحيح والحسن بن علي بن فضال (الذي أمرنا بأخذ رواياته).

ويؤيده كونه كثير الرواية سديدة مفتى بها. إلى غير ذلك. مع أنّ ما رواه في كتب الأخبار صريح في خلاف الغلو. نعم فيه زيادة ارتفاع شأن بالنسبة إليهم عليهم السلام. ولعل بهذا اتهم بالغلو وهو ظاهر الفساد. انتهى)^(٢) وذلك إضافة إلى رواية يونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى وغيرهم عنه.

وأضاف الشيخ النمازي على ما ذكره الوحيد في التعليقة قال: «ويروى عن الحسين بن سعيد وهو من أصحاب الأصول التي اعتمد عليها الصدوق وحكم بصحتها واستخرج منها أحاديث كتابه الفقيه. روى كتابه أحمد بن البنزطي عنه. وذكروا أنه يروي عن الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام ... روى العياشي في تفسير سورة الرعد عن المفضل بن صالح عن جعفر بن محمد عليه السلام في حديث ما اختاره الله من خلقه - إلى أن قال - ثم اختار من بني عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه و آله فنحن ذريته فإن قلت للناس: لرسول الله صلى الله عليه و آله ذرية جحدوا ولقد قال الله: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) فنحن ذريته، قال: فقلت: أنا أشهد أنكم ذريته. ثم قلت له: ادع الله لي جعلت فداك أن يجعلني معك في الدنيا والآخرة فدعا لي ذلك، قال: وقبّلت باطن يده»^(٣). والظاهر ان ما مضى كافٍ لتوثيقه. والله المسدّد.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

قال الإمام الرضا عليه السلام: ((إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدًا فِي عُنُقِ أَوْلِيَائِهِ وَشِيعَتِهِ وَإِنَّ مِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَحُسْنِ الْأَدَاءِ زِيَارَةَ قُبُورِهِمْ فَمَنْ زَارَهُمْ رَغْبَةً فِي زِيَارَتِهِمْ وَتَصَدِيقًا بِمَا رَغِبُوا فِيهِ كَانَ أَمْتَهُمْ شَفَعَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) الكافي: ج ٤ ص ٥٦٧.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدركات علم رجال الحديث، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ١٤٢٦هـ، ج ٧ ص ٤٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ص ٤٢١.